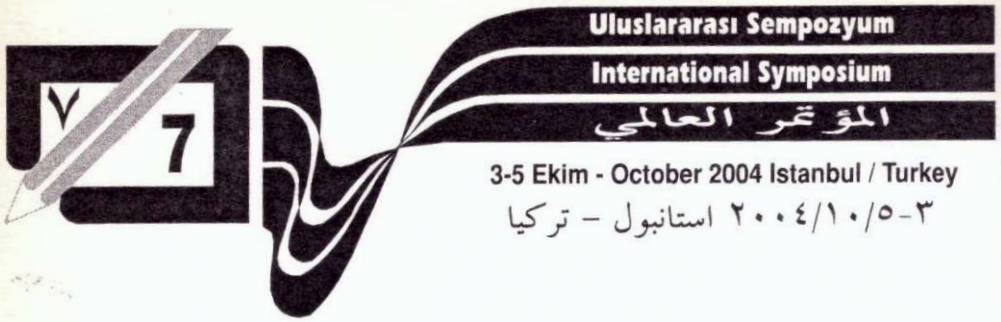

Uluslararası Sempozyum
International Symposium
المؤتمر العالمي
3-5 Ekim - October 2004 Istanbul / Turkey
٣-٥/١٠/٢٠٠٤ استانبول - تركيا

المؤتمر العالمي السابع
لبديع الزمان سعيد النورسي

ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
Ekim 2004
الترقيم الدولى
ISBN: 975-269-043-2
شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

فكر بديع الزمان النورسي في العدالة في الإسلام في ضوء "رسائل النور"

الدكتور إسماعيل عبد الرحيم شلبى
الأستاذ بكلية الحقوق
جامعة الزقازيق
جمهورية مصر العربية

مقدمة :

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية لبس الباطل ثوب الحق وتوالت الهجمات الشرسة على الإسلام والمسلمين. ووصفت التجمعات الإسلامية بالإرهاب وواجهت الأقليات الإسلامية المقيمة في الدول الغربية اعتداءات ومضايقات غير إنسانية وتعالت الأصوات بالمطالبة بطرد المسلمين والعرب من هذه الدول وعودتهم إلى أوطانهم. وقد ظهرت العنصرية على حقيقتها. حيث وصفت الحضارة الإسلامية بأنها حضارة تدعو للإرهاب وفيها من التخلف ما يجعل أصحابها غير متحضرين.

وبات واضحاً أن الغرب بأكمله يجهل تماماً أو يتجاهل حقيقة الإسلام وحقيقة تعاليمه ومبادئه السمحة (ومنها مبدأ العدالة) التي لو اتبعها الجميع لعاشوا في أمن ورخاء ولما احتاج الناس في العالم كله إلى من يهديهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

إن العدل يعد لدى كل الشعوب والحضارات قيمة من القيم الكبرى التي ينبغي على الإنسان أن يسعى إلى تحقيقها في هذا العالم من أجل خير الإنسان وسعادته.

والإنسان في أصل فطرته الصافية يميل إلى العدل وينفر من الظلم. ولا نعدو قول الحق إذا قلنا أن العدل يعد ضرورة حياتية لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة حقيقية بدونه.

ونظراً لأهمية المبادئ السمحة في الإسلام فإننا سوف نركز على أحد هذه المبادئ الهامة وهى مبدأ العدالة. ولذلك سوف تشمل هذه الدراسة الفصول الآتية :—

الفصل الأول : سوف نلقى فيه الضوء إلى مبدأ العدالة في الإسلام.

الفصل الثانى : سوف نركز فيه على فكر بديع الزمان النورسي في العدالة في الإسلام في ضوء "رسائل النور".

ثم نقوم بخاتمة هذه الدراسة.

الفصل الأول

العدالـــة في الإســـلام

إن من يطلع على القرآن الكريم والسنة النبوية بقلب مفتوح ويلقى نظرة ولو سريعة على أصول الإسلام وعقائده ومبادئه ومفاهيمه التي يزخر بها الكتاب والسنة أو يقرأ التاريخ الإسلامي من مصادره الأصلية ليدرك لأول وهلة أن الإسلام دين العدل والعدالة ودين السماحة والرحمة ويدعو إلى التعارف والتآلف والتآخي والتعاون بين الشعوب والأمم فيما فيه صالح البشرية وتقدمها ورفاهيتها وليس دين حرب وإرهاب وإراقة دماء.

ولما كان الإسلام دين عدالة فإنه جعل من العدالة قوام الدولة وأساسها المتين. حيث أمر بإقامة العدالة بين الناس جميعاً لا فرق بين رجل وامرأة وبين مسلم وذمى وبين أبيض وأسود. فالله سبحانه وتعالى يقول "**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً**" (النساء: 58). ويقول الله تعالى "**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**"

(المائدة: 8). ويقول الله تعالى **"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون"** (النحل: 90).

أليس هناك مثل أروع على العدالة الإسلامية في قول الرسول ρ "والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"[1].

إن العدالة أساسها المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات والمساواة أمام القانون والمساواة في المسئولية المدنية والجنائية وفى استحقاق المكافأة على فعل الخير والعقوبة على فعل الشر[2]. حيث يقول الرسول ρ "لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى"[3].

وقد طبق القضاة المسلمون قواعد العدالة الإسلامية ورعوها أكمل رعاية في كل القضايا التي عرضت عليهم. فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يذهب إلى شريح القاضي ويقول له: إنه وجد درعاً له عند يهودي ويطلب من القاضي أن يحكم له بالدرع ويستشهد بابنه الحسن على دعواه. فرد شريح شهادة الحسن قائلاً: إن شهادة الابن لا تجوز للأب. وحكم بالدرع لليهودي، لأنه صاحب اليد عليه. فبهت اليهودي من عدالة الإسلام التي حكمت له و لم تحكم لأمير المؤمنين. فنطق بالشهادتين وأسلم لتوه وأقر بأن الدرع درع علي ورده إليه.

ولقد جاء الأمر بالعدل ومقاومة الظلم في القرآن الكريم صريحاً لا يحتمل التأويل حيث يقول الله تعالى **"إن الله يأمر بالعدل"** (النساء: 75) كما جاء بالحديث القدسي المشهور عن رسول الله ρ "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ..."[4].

وهذا الأمر الديني يعزز الجانب الإنساني الذي يرتكز على الطبيعة الإنسانية النقية التي تميل إلى العدل وتنفر من الظلم. وتضافر الجانب الديني مع الجانب العقلي يقوى عزم الإنسان وتصميمه على سلوك سبيل العدل ومقاومة الظلم في شتى صوره وأشكاله.

وطبقاً لتعاليم القرآن الكريم يتجلى العدل في الرحمة الإلهية التي تعم العالم كله بما فيه ومن فيه كما جاء بالقرآن الكريم **"ورحمتي وسعت كل شيء"** (الأعراف:

156). تلك الرحمة التي لا تفرق بين الناس الذين هم جميعاً خلق الله يحكم بينهم بالعدل ويشملهم برحمته. وكل إنسان مطالب بالسعي إلى إقامة العدل والأمل في تحققه من منطلق الرحمة الإلهية.

والإيمان بالعدل والتصميم عليه والأمل في تحققه يحرر الإنسان من كل القيود التي تقف عقبه في سبيل توجهه نحو السلوك العادل[5].

وعند التأمل في مفهوم العدل يتضح لنا أن للعدل جانبين لا يجوز أن ينفصل أحدهما عن الآخر. فالإنسان من حيث طبيعته ومن حيث هو كائن عاقل – في حاجة إلى العدل يطلبه ويسعى إليه. ولكن هناك وجهاً آخر للعدل يسير جنباً إلى جنب مع حاجة الإنسان له، وطلبه إياه. ونعني بذلك أن العدل نفسه يحتاج إلى الإنسان بوصفه كائناً عاملاً حراً من أجل تحقيقه والعمل على إقراره. فالإنسان بدون العدل لا يستطيع أن يحيا حياة حقيقية على هذه الأرض. والعدل كقيمة مثالية ليست شيئاً دون أن يكون هناك إنسان يعمل على تحقيقها في عالم الواقع. فالعدل ضروري للإنسان مثلما أن الإنسان ضروري لتحقيق العدالة[6].

والقرآن الكريم يبين لنا المكانة الرفيعة التي يحتلها صاحب السلوك العادل في مقابل هذا الذي لا يرجى منه خيراً فيقول "**وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم**" (النحل: 76).

إن الله يحب العادلين المقسطين. حيث يقول القرآن "**وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط أن الله يحب المقسطين**" (المائدة: 42). كما أن رسالة الأنبياء جميعاً ترمى إلى التزام الناس بالعدل وتربيتهم على ذلك. كما يقول القرآن الكريم "**لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات وأنـــزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**" (الجديد: 25).

ويمكن القول بأن التأكيد على حرية الإنسان كان يتردد في التاريخ الإسلامي دوماً عندما تنطلق الشكوى من العدوان على الحرية والذي كان يحدث بين الحين والآخر. وفى هذا الصدد نورد مثالاً على ذلك في تلك العبارة المشهورة التي أطلقها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في مواجهة العدوان على حرية بعض الأفراد من جانب

بعض أصحاب النفوذ حين قال "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟". وقد قيل ذلك بمناسبة مشهورة تتصل بوالي مصر عمرو بن العاص في ذلك الوقت. فقد شكا أحد المصريين والى مصر لدى الخليفة من الظلم الذي تعرض له حيث اعتدى عليه ابن الوالي بالضرب على هذا المصري دون مبرر. وبدلاً من أن ينصف الوالي هذا الرجل أودعه السجن حتى يمنعه من إيصال شكواه إلى الخليفة. وقد استطاع المصري أن يهرب من السجن ويذهب إلى الخليفة ويعرض عليه شكواه. فاستدعى الخليفة الوالي وابنه. وبعد أن تحقق من صحة ما قاله المصري أعطاه عصاة وطلب منه أن يضرب بها ابن الوالي قصاصاً منه لضربه إياه. ففعل المصري ذلك وضرب ابن الوالي. وطلب الخليفة من المصري بعد ذلك أن يضرب الوالي أيضاً ويقتص منه. نظراً لأن ابن الوالي ما كان يستطيع أن يضربه إلا بنفوذ والده. لكن المصري اكتفى بضرب من ضربه. وعقب ذلك قال الخليفة قولته المشهورة "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟" وذلك مما يؤكد ارتباط العدل بالحرية[7].

ومن المبادئ الأساسية أن العدل لا يتجزأ ولا يجوز أن يكون متحيزاً أو منحازاً لطائفة معينة أو فريق معين من الناس. وهذا المبدأ هو ما يطالب به القرآن الكريم صراحة ووضوحاً وذلك على الوجه التالي[8] :-

أولاً : ينبغي على الإنسان أن يلتزم بالعدل حتى في حالة ما إذا كان الأمر يتعلق بشخصه أو والديه أو أقاربه ومحبيه "**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين. إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما. فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً**" (النساء: 135).

ثانياً : ينبغي الالتزام بالعدل بين الناس بصرف النظر عن وضعهم الاجتماعي من حيث الغنى أو الفقر أو الجاه أو النفوذ. ولا يجوز أن يكون لذلك أي تأثير على قراراتنا. حيث يقول القرآن الكريم "**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل. إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً**" (النساء: 58).

ومن المأثورات الإسلامية في هذا الصدد ما يروى أن أسامة بن زيد قد تشفع لدى النبى ρ في أمر العفو عن المرأة المخزومية التي سرقت. وكانت من أسرة لها مكانتها في المجتمع. وقد رفض النبي ذلك رفضاً قاطعاً مؤكداً على ضرورة أن يطبق على الجميع معيار واحد بصرف النظر عن أي اعتبار آخر. وقال قولته المأثورة في حديثه النبوي "إن من كان قبلكم إذا سرق فيهم الضعيف قطعوه. وإذا سرق فيهم القوى تركوه. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"(9).

ثالثاً : ينبغي الالتزام بالعدل وعدم السير وراء الأهواء والميول أو الأنانية أو الخوف من أصحاب النفوذ أو مشاعر الكراهية إزاء بعض الناس أو بعض الجماعات. حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم **"يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون"** (المائدة: 8).

رابعاً : يتحتم معاملة كل الناس من حيث المبدأ بالعدل والمودة إلا في حالة ما إذا حاربونا بسبب الدين أو أخرجونا من ديارنا أو ناصروا أعداءنا ضدنا. وتلك حالة استثنائية تزول بزوال أسبابها. وفى ذلك يقول القرآن الكريم **"لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم عن دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون"** (الممتحنة: 8، 9).

فالمطلوب إذن ليس فقط مجرد عدالة تحكم بل عدالة تعمل بطريقة فعالة على بقاء الإنسانية حية في النفوس وأن تمنح للناس الفرصة ليمارسوا حياتهم في كرامة. فعلى أساس من الشعور بالكرامة واحترام الذات تُبنى أخلاق الإنسان.

والعدل يعلو على مجرد الشرعية. إنه عدل ذلك الإنسان الذي يتصرف بحق بوصفه خليفة الله في الأرض. إنه عدل الإنسان الذي يتقى الله ويعدل لأنه يحب العدل لذاته. وهذا يعنى أنه يحب الله، لأن الله هو نفسه العدل المطلق. والإنسان عندما يتجه في

سلوكه إلى خدمة إخوانه في الإنسانية وإلى خدمة العالم الذي يعيش فيه بصفة عامة عن طريق استقامة سلوكه وعدله. فإن ذلك يكون بمثابة عبادة الله تعالى.

الفصل الثاني
فكر بديع الزمان سعيد النورسي في العدالة في الإسلام
في ضوء "رسائل النور"

لقد استمتعت كثيراً بقراءة رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي في أجزائها الثمانية وقد استفدت كثيراً بما تحتويه هذه الرسائل من حقائق ومعلومات وبيانات ودروس وعظات وتقاليد خالدة وما لاقاه من مشاكل ومصاعب في حياته. جزاه الله عن ما كتبه وتركه من تراث وقيم في هذه المجالات المختلفة.

ونظراً لاحتواء دراستنا هذه عن فكره بشأن العدالة في الإسلام فقد لاحظت أنه قد تحدث بالكثير عن العدالة في الإسلام وقسمها ونوعها وأعطى الأمثلة التاريخية مجالاً خصباً تأييداً لما ذكره عن العدالة في الإسلام.

هذا وسوف نقوم بإيضاح بعض ما جاء في رسائل النور عن العدالة في الإسلام وذلك حسب العناوين الآتية :-

1- العدالة في الإسلام.
2- العدالة المحضة والعدالة النسبية.
3- العدالة في الصراع بين الدين والقومية.
4- السلام النفسي عند النورسي.
5- أسباب فساد الحياة الاجتماعية.

المبحث الأول :

العدالة في الإسلام

يقول بديع الزمان سعيد النورسي بشأن العدالة في الإسلام[10]: إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف "الحب في الله والبغض في الله"[11] والاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلها، فالنفاق والشقاق

يسودان. نعم إن الذي لا يهتدي بتلك الدساتير يكون مقترفاً ظلماً في الوقت الذي يردم العدالة.

وقد استدل على ذلك بواقعة أو حادثة ذات عبرة. وهى أنه في إحدى الغزوات الإسلامية كان الإمام علي – رضي الله عنه – يبارز أحد فرسان المشركين فتغلب عليه الإمام وجرحه. فلما أراد الإمام أن يجهز عليه تفل على وجه الإمام. فما كان من الإمام إلا أن أخلى سبيله وانصرف عنه فاستغرب المشرك من هذا العمل. فقال: إلى أين؟ قال الإمام: كنت أقاتلك في سبيل الله فلما فعلت خشيت أن يكون قتلى إياك فيه ثأر لنفسي فأطلقتك لله. فأجابه الكافر: كان الأولى أن تثيرك فعليتي أكثر فتسرع في قتلى. ومادمتم تدينون بدين في منتهى السماحة فهو بلا شك دين حق.

وفى حادثة أخرى عزل حاكم مسلم قاضيه لما رأى منه شيئاً من الحدة والغضب أثناء قطعه يد السارق. فما ينبغي لمن ينفذ أمر الله أن يحمل شيئاً من حظ نفسه على المحكوم. بل عليه أن يشفق – من حيث النفس – على حاله دون أن تأخذه رأفة في تنفيذ حكم الله. وحيث أن شيئاً من حظ النفس قد اختلط في الأمر مما ينفى العدالة الخالصة فقد عزل القاضي.

ثم تقدم بنداء للأخوة المسلمين قائلاً: إن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة للنجاة من العذاب. فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله إذ يضيع الإخلاص.ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلى رأيه وجماعته يروم التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها. فلا يوفق توفيقاً كاملاً إلى عمل خالص لوجه الله. ثم إنه لا يفوق أيضاً إلى العدالة. إذ يرجع الموالين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم. وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر "الإخلاص والعدالة" بالخصام والعداء.

أيها المؤمنون إن كنتم تريدون حقاً الحياة العزيزة وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان فأفيقوا من رقدتكم. وعودوا إلى رشدكم. وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة "**إنما المؤمنون أخوة**" (الحجرات: 10). وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة

الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية. وإلا تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم.

فيا معشر أهل الإيمان: إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية وأنانيتكم وتحزبكم. فقوة قليلة جداً تتمكن من أن تذيقكم الذل والهلاك. فإن كنتم حقاً مرتبطين بملة الإسلام فاستشهدوا بالدستور النبوي العظيم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"[12]. وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجون من شقاء الآخرة.

أما عن رأى بديع الزمان سعيد النورسي عن سيطرة خواص المسلمين واستبدادهم فيقول[13]:-

إن من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه في أمور الخير والرقى ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون. بل تكون جميع أعماله في سبيل التخريب والشر. فما دام الانسجام مع قانون الفطرة ضرورياً فإن تنفيذ قانون المساواة المطلوبة لا يمكن إلا بتغيير فطرة البشر ودفع الحكمة الأساسية في خلق النوع البشرى.

نعم إنني من حيث النسب ونمط معيشة الحياة من طبقة العوام. ومن الراضين بالمساواة في الحقوق فكراً ومشرباً. ومن العاملين على رفض سيطرة طبقة الخواص المسلمين بالبرجوازيين واستبدادهم وذلك بمقتضى الرحمة وبموجب العدالة الناشئة عن الإسلام.

لذا فأنا بكل ما أوتيت من قوة بجانب مع العدالة التامة وضد الظلم والسيطرة والتحكم والاستبداد.

بيد أن فطرة النوع البشرى وحكمة خلقه تخالفان قانون المساواة المطلقة إذ الفاطر الحكيم سبحانه كما يستحصل من شيء قليل محاصيل كثيرة ويكتب في صحيفة واحدة كتباً كثيرة. ويجرى بشيء واحد وظائف جمة. كذلك ينجز بنوع البشر وظائف ألوف الأنواع وذلك إظهاراً لقدرته الكاملة وحكمته التامة. وفى النهاية يقول "لا يمكن بالظلم والجور محو الحقيقة. ارفع القلب إن كنت مقتدراً من الإنسانية". أو أقول: لا

يمكن بالظلم والجور محو الفضيلة. ارفع الوجدان إن كنت مقتدراً من الإنسانية. نعم إن الفضيلة المتسمة بالإيمان، كما لا تكون وسيلة للإكراه لا تكون سبباً للاستبداد قطعاً. إذ الإكراه والقسر والتسلط على الآخرين رذيلة ليس إلا. بل إن أهم مشروب لدى أهل الفضيلة هو الاندماج في المجتمع بالعجز والفقر والتواضع. ولقد مضت حياتنا ولله الحمد ومازالت كذلك تمضى على وفق هذا المشرب.

وفى ذكره أن العدالة جاءت من اسم الله "العدل أو العادل" قال[14] :

إن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء. وتأمر البشرية بإقامة العدل.

وإن ذكر الميزان أربع مرات في "سورة الرحمن" إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب وبيان لأهمية الميزان البالغة ولقيمته العظمى في الكون. وذلك في قوله تعالى "**والسماء رفعها ووضع الميزان. ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**" (الرحمن: 7–9).

فاعلم من هذا أن "العدالة والاقتصاد والطهر" التي هى من حقائق القرآن ودساتير الإسلام ما أشدها إيغالاً في أعماق الحياة الاجتماعية. وما أشدها عراقة وأصالة. وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون. وكيف أنها مدت جذوراً عميقة في أغوار الكون فأحاطته بعرى وثيقة لا انفصام لها. ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنع كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به وتشويه صورته.

وإن عظمة الربوبية التي تظهر دقة متناهية وحساسية فائقة – إذا جاز التعبير – في الرحمة والشفقة والعدالة والحكمة. وكذا الألوهية الباسطة سلطانها على الوجود كله والتي تريد إظهار كمالاتها وتعريف نفسها وتحبيبها بما زين الكائنات ببدائع صنائعها وبما أسبغ عليها من نعم. هل يمكن أن تسمح – هذه الربوبية العظيمة والألوهية الجليلة – بعدم إقامة الحشر الذي يسبب الحط من قيمة جميع كمالاتها ومن قيمة مخلوقاتها قاطبة؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فمثل هذا الجمال المطلق لا يرضى – بالبداهة – بمثل هذا القبح المطلق.

ثم انظر من خلف التجلي الأعظم لاسم "العدل" تراه يدير جميع الكائنات بموجوداتها ضمن فعالية دائمة بموازينه الدقيقة[15]. ومقاييسه الحساسة ومكاييله العادلة بحيث يجعل العقول في حيرة وإعجاب. فلو فقد نجم من الأجرام السماوية توازنه لثانية واحدة. أي إذا انفلت من تجلى اسم (العدل) لحل الهرج والمرج في النجوم كلها ولأدى – لا محالة – إلى حدوث القيامة.

وهكذا فكل دائرة من دوائر الوجود وكل موجود من موجوداتها ابتداء من الدوائر العظيمة – المسماة بدرب التبانة – إلى حركات أصغر الموجودات في الجسم من كريات حمراء وبيض كل منها قد فصل تفصيلاً خاصاً وقدر تقديراً دقيقاً وقيس بمقاييس حساسة. ومنح شكلاً معيناً ووضعاً مخصوصاً بحيث يظهر – كل منها – الطاعة التامة والانقياد المطلق ودينونة كاملة للأوامر الصادرة من الذي يملك أمر "كن فيكون" ابتداء من جيوش النجوم الهائلة المتلألئة في الفضاء إلى جيوش الذرات المتناهية في الصغر.

المبحث الثاني :

العدالة المحضة والعدالة الإضافية (النسبية)

أوضح بديع الزمان سعيد النورسي الفرق بين العدالة المحضة والعدالة النسبية وذلك بالإشارة إلى "معركة الجمل" التي دارت رحاها بين سيدنا علي رضي الله عنه وجماعته من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم أجمعين من جهة أخرى، هى معركة بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية (النسبية). وتوضيحها كالآتي:

لقد جعل سيدنا علي رضي الله عنه، العدالة المحضة أساساً لسياسته في إدارة دفة الحكم. وسار بمقتضاها على وفق اجتهاده وبمثل ما كان الشيخان يسيران عليه من قبله. أما معارضوه فقد قالوا: إن صفاء القلوب وطهارة النفوس في عهد الشيخين كانا ملائمين وممهدين لكي تنشر العدالة المحضة سلطانها على المجتمع، إلا أن دخول أقوام متباينة الطبائع والاتجاهات وهم على ضعف الإسلام بمرور الزمن، في هذا المجتمع أدى إلى وضع عوائق مهمة إزاء الرغبة في تطبيق العدالة المحضة، فغدا تطبيقها صعباً، لذا فقد اجتهدوا على أساس العدالة النسبية التي هى اختيار لأهون الشرين[16].

إن قسماً من الصحابة قد ظهروا في الجهة المخالفة للإمام علي في تلك الفتن نتيجة الأخذ بالعدالة النسبية (الإضافية) واتباعاً للرخصة الشرعية بدلاً من أن يكونوا مع الإمام علي الذي ألزم نفسه الأخذ بالعدالة الحقيقية (المحضة) والأخذ بالعزائم الشرعية مع مسلكه المتسم بالزهد الشديد والاستغناء عن الناس والتقشف، فأولئك الصحابة الكرام قد تركوا مسلك الإمام علي ودخلوا في الصف المخالف له نتيجة هذا الاجتهاد حتى أن "عقيل" وهو أخو الإمام علي و"ابن عباس" الملقب بحبر الأمة كانا في الصف المخالف للإمام لفترة[17]. ولأجل كل هذا فقد اتخذ أهل السنة والجماعة القاعدة الأساسية الشرعية وهى عدم جواز فتح أبواب تلك الفتن فقالوا: "من محاسن الشريعة سد أبواب الفتن": وقد طهّر الله أيدينا فنطهر ألسنتنا[18].

ولكن، لأن المنافسة حول هذين النوعين من الاجتهاد آلت إلى ميدان السياسة، فقد نشبت الحرب بين الطرفين. وحيث أن كل طرف قد توصل إلى اجتهاده بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ومصلحة الإسلام، ونشبت الحرب نتيجة هذا الاجتهاد الخالص لله، فيصح أن نقول: القاتل والمقتول كلاهما من أهل الجنة، وكلاهما مأجوران مثابان، رغم معرفتنا أن اجتهاد الإمام علي رضي الله عنه كان صواباً وأن اجتهاد مخالفيه مجانب للصواب. وهؤلاء المخالفون ليسوا أهلاً للعقاب الأخروي. إذ المجتهد لله إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، أي أنه ينال ثواب بذله الجهد في الاجتهاد، وهو نوع من العبادة، أي هو معذور في خطئه.

أما إيضاح الفرق بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية فهو :

أن حق الشخص البريء الواحد لا يبطل لأجل الناس جميعاً، أي أن حقه محفوظ، وهذا المعنى هو الذي تشير إليه الآية الكريمة **"من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً"** (المائدة: 32) فلا يُضحى بفرد واحد لأجل الحفاظ على سلامة الجميع؛ إذ الحق هو حق ضمن إطار الرحمة الإلهية، فلا يُنظر إلى كونه صغيراً أو كبيراً، لذا لا يُفدى بالصغير لأجل الكبير، ولا بحياة فرد وحقه لأجل سلامة جماعة والحفاظ عليها، إن لم يكن له رضى في الأمر. أما إذا كانت التضحية برضاه ورغبة منه فهى مسألة أخرى.

أما العدالة الإضافية فهي أن الجزء يضحى لأجل سلامة الجميع، فهذه العدالة لا تأخذ حق الفرد بنظر الاعتبار لأجل الجماعة، وإنما تحاول القيام بنوع من عدالة إضافية من حيث الشر الأهون. ولكن إذا كانت العدالة المحضة قابلة للتطبيق فلا يُصار إلى العدالة الإضافية، وإن صار إليها فقد وقع الظلم. فالإمام علي رضي الله عنه قال: إن العدالة المحضة قابلة للتطبيق، كما كان عليه في عهد الشيخين. لذا حاول بناء الخلافة الإسلامية على تلك القاعدة من العدالة المحضة. بينما معارضوه كانوا يقولون إن هذه العدالة المحضة غير قابلة للتطبيق، حيث هناك، عوائق ومشكلات كثيرة تظهر أثناء تطبيقها، فصار اجتهادهم إلى العدالة الإضافية.

أما ما أورده التاريخ من أسباب أخرى فهي ليست أسباباً حقيقية، بل حجج ومبررات واهية.

إن الآية الكريمة "**ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى**" (الأنعام: 164) تفيد العدالة المحضة، أى لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة غيره. فترى القرآن الكريم ومصادر الشريعة الأخرى وآداب أهل الحقيقة والحكمة الإسلامية كلها تنبهك إلى: أن إضمار العداء للمؤمن والحقد عليه ظلم عظيم، لأنه إدانة لجميع الصفات البريئة التي يتصف بها المؤمن بجريرة صفة جانية فيه. ولا سيما امتداد العداء إلى أقاربه وذويه بسبب صفة تمتعض منها، فهو ظلم أعظم، كما وصفه القرآن الكريم بالصيغة المبالغة "**إن الإنسان لظلوم**" (إبراهيم: 34) أفبعد هذا تجد لنفسك مبررات وتدعى أنك على حق؟

فاعلم! أن المفاسد التي هي سبب العداء والبغضاء كثيفة في نظر الحقيقة، كالتراب والشر نفسه، وشأن الكثيف أنه لا يسرى ولا ينعكس إلى الغير – إلا ما يتعلمه الإنسان من شر من الآخرين – بينما البر والإحسان وغيرهما من أسباب المحبة فهي لطيفة كالنور وكالمحبة نفسها، ومن شأن النور الانعكاس والسريان إلى الغير. ومن هنا سار في عداد الأمثال: "صديق الصديق صديق" وتجد الناس يرددون: "لأجل عين ألف عين تكرم".

فيا أيها المححف! إن كنت تروم الحق، فالحقيقة هى هذه، لذا فإن حملك عداء مع أقارب ذلك الذي تكره صفة فيه، وحقدك على ذويه المحبوبين لديه، خلاف للحقيقة وأي خلاف![19]

"من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحيانا فكأنما أحيا الناس جميعاً" (المائدة: 32). هذه الآية الكريمة حق خالص ولا تنافى العقل قطعاً، وهى حقيقة محضة لا مبالغة فيها قط.

تضع أعظم دستور للعدالة المحضة التي تقرر: لا تهدم دم برئ ولا تزهق روحه حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جمعاء، فكما أن كلها في نظر القدرة الإلهية سواء فهما في نظر العدالة سواء أيضاً. وكما أن نسبة الجزئيات إلى الكلى واحدة كذلك الحق في ميزان العدالة، النسبة نفسها. ولهذا فليس للحق صغير وكبير.

أما العدالة الإضافية فهي تفدى بالجزء لأجل الكل بشرط أن يكون لذلك الجزء المختار الرضا والاختيار صراحة أو ضمناً، إذ عندما يتحول "أنا" الأفراد إلى "نحن" الجماعة ويمتزج البعض بالبعض الآخر مولداً روح الجماعة، يرضى الفرد أن يضحى نفسه للكل[20].

إن الإسلام وشريعته الغراء : المالك الحقيقي وصاحب العنوان المعظم .. والمؤثر الحق والمتضمن للعدالة المحضة .. ويحقق نقطة استنادنا .. ويرسى المشروطية على أساس متين .. وينقذ ذوى الأوهام والشكوك من ورطة الحيرة .. ويتكفل بمستقبلنا وآخرتنا .. وينقذكم من التصرف في حقوق الله بدون إذن منه، تلك الحقوق التي تضمن مصالح الناس كافة .. ويحافظ على حياة أمتنا .. ويظهر ثباتنا وكمالنا ويحقق وجودنا أمام الأجانب .. وسحر العقول والأذهان .. وينقذكم من تبعات الدنيا والآخرة .. ويؤسس الاتحاد العام الشامل نهاية المطاف .. ويولد الأفكار العامة (الرأي العام) التي هي روح ذلك الاتحاد .. ويحول دون دخول مفاسد المدنية إلى حدود حريتنا ومدنيتنا .. وينجينا من ذل التسول من أوروبا .. ويطوى لنا المسافة الشاسعة التي تخلفنا فيها عن الرقى في زمان قصير بناءً على سر الإعجاز .. ويرفع من شأننا في زمن قصير بتوحيد العرب والطوران وإيران والساميين .. ويظهر الشخصية المعنوية للدولة بمظهر الإسلام[21].

إن الدستور الغادر للسياسيين الظلمة الذين هو : "يُضحى بالفرد لأجل الجماعة" له وقائع وأحداث قاسية ظالمة تحت اسم "أهون الشرين" الذي اتخذه بعض الحكام نوعاً من أنواع العدالة الإضافية (النسبية) وأبرزوه لمصلحة إدامة حكمهم[22].

حتى في هذا العصر بموجب هذا الدستور الغادر يفنى أحدهم قرية كاملة بخطأ شخص واحد فيها، ويهلك ألوف الناس لتوهم ضرر قد يلحق بسياستهم من جراء معارضة عشرة أشخاص.

وحيث أن هذا الدستور الغادر للسياسة قد دخل إلى حد ما بين المسلمين في العصور الإسلامية، فقد آثر السلف الصالحون السكوت – مضطرين – أمام هذه الدساتير الرهيبة، فسد أئمة أهل السنة والجماعة تلك الأبواب بقولهم: طهّر الله أيدينا فنطهّر ألسنتنا.

المبحث الثالث :

العدالة في الصراع بين الدين والقومية

لقد اعتمد الأمويون على جنس العرب في تقوية الدولة الإسلامية، وقدموهم على غيرهم، أي فضلوا رابطة القومية على رابطة الإسلام فأضروا من جهتين[23]:

الأولى: آذوا الأقوام الأخرى بنظرتهم هذه، فوّلدوا فيهم الكراهية والنفور.

الثانية: أن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنى له أن يبلغ العدالة! بينما (الإسلام يجبّ ما قبله)[24] من عصبية جاهلية، لا فرق بين عبد حبشي وسيد قرشي إذا أسلما[25]. فلا يمكن إقامة رابطة القومية بدلاً من رابطة الدين في ضوء هذا الأمر الجازم. إذ لا تكون هناك عدالة قط وإنما تهدر الحقوق ويضيع الإنصاف.

وهكذا فإن سيدنا الحسين رضى الله عنه قد تمسك برابطة الدين، وهو محق في ذلك، لذا قاوم الأمويين حتى رزق مرتبة الشهادة.

وإذا قيل: لِمَ لم ينجح سيدنا الحسين رضى الله عنه في مسعاه رغم أنه كان على حق وصواب؟ وكيف سمحة الرحمة الإلهية والقدر الإلهي أن تكون عاقبته وعاقبة آل بيته فاجعة أليمة؟

الجواب: إذا استثنينا المقربين من سيدنا الحسين رضي الله عنه، نجد أن الأقوام المختلفة الذين التحقوا بهم هم ممن أُصيب غرورهم القومي بجروح بيد العرب المسلمين، فهم يضمرون ثأراً تجاههم، مما كدّر صفاء النية ونقاءها التي كان يتحلى بها مسلك الحسين ومن معه، وأدّى تعكّر ذلك الصفاء وخفوت سطوع ذلك النهج القويم إلى تقهقرهم أمام أولئك.

أما حكمة تلك الحادثة المؤلمة من زاوية نظر القدر الإلهي فهي: أن الحسن والحسين رضي الله عنهما وذويهما ونسلهما كانوا مرشحين لسلطنة معنوية ومؤهلين لتسنم مرتبة سامية معنوية. ولما كان الجمع بين سلطنة الدنيا وتلك السلطنة المعنوية من الصعوبة بمكان، لذا جعلهم القدر الإلهي يُعرضون عن الدنيا، وأظهر لهم وجه الدنيا الدميم، لئلا تبقى لهم علاقة قلبية مع الدنيا، ودفعهم إلى أن ينفضوا أيديهم من سلطنة صورية دنيوية مؤقتة زائلة، بينما عيّنهم لتسنم الأمور لدى سلطنة معنوية سامية دائمة، فأصبحوا مرجعاً لأقطاب الأولياء بدلاً من أن يكونوا مرجعاً للولاة الاعتياديين.

أما سؤالكم: عن الحكمة في المصيبة الأليمة والمعاملة الظالمة التي أصابت أولئك الطاهرين الميامين؟

الجواب: هناك ثلاثة أسس كان معارضو سيدنا الحسين رضي الله عنه وهم الأمويون يسيرون عليها والتي أدت إلى ارتكاب تلك المظالم والمعاملات القاسية:

الأول: هو دستور السياسة الظالم ومؤداه؛ أن الأشخاص يضحى بهم في سبيل الحفاظ على الدولة واستتباب النظام في البلاد.

الثاني: كانت دولتهم تستند إلى القومية والعنصرية، وكان الحاكم المهيمن على الأمور قانون القومية الظالم وهو: "كل شيء يضحى في سبيل الحفاظ على سلامة الأمة".

الثالث: تأصل عرق المنافسة لدى الأمويين منذ مدة طويلة تجاه الهاشميين، فظهر في يزيد وأمثاله، مما سبب تفجر استعدادات ظالمة قاسية لا رحمة فيها ولا رأفة.

وهناك سبب **رابع** وهو الذي يخص الذين انضموا إلى صف سيدنا الحسين رضي الله عنه، وهو أن اعتماد الأمويين على قومية العرب وحدهم في إدارة شؤون الدولة، ونظرتهم المتعالية على سائر الأقوام كأنهم عبيد لديهم وتسميتهم بالموالى، أصاب غرور أولئك، مما دفعهم إلى الالتحاق بصف سيدنا الحسين، وهم يحملون نية غير خالصة لله. وهى نية أساسها دافع الثأر. هذا الأمر هيج العصبية القومية لدى الأمويين فأدى بهم الأمر إلى ارتكاب تلك الفاجعة الأليمة التي لا تجد فيها رحمة ولا عطفاً ولا رأفة.

هذه الأسباب الأربعة المذكورة: هي أسباب ظاهرية. إلا أننا إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية القدر الإلهي نجد أن سيدنا الحسين وذويه رضي الله عنهم قد أحرزوا نتائج أخروية وسلطنة روحية ورقياً معنوياً، من جراء تلك الفاجعة الأليمة، بحيث تكون تلك الآلام والصعوبات التي لاقوها في تلك الحادثة الأليمة زهيدة ويسيرة تجاه تلك المنازل الرفيعة التي حظوا بها. فمثلاً: إن الذي يستشهد نتيجة تعذيب يستغرق ساعة يغنم من المراتب العالية والدرجات السامية للشهادة ما لا يمكن أن يحصل عليها من يسعى بجهد متواصل خلال عشر سنين. فلو سئل ذلك الشهيد بعد فوزه بدرجة الشهادة عن ذلك التعذيب لأجاب: لقد فزت كثيراً جداً بشيء يسير جداً.

المبحث الرابع :

السلام النفسي عند النورسي

واجه بديع الزمان سعيد النورسي الكثير من المشاكل والمصاعب فسأله البعض من الأصدقاء بأنه رغم ما يواجهه من مشاكل ومصاعب يلاحظون راحته النفسية ويستغربون من إيثاره الصمت والتحلي بالصبر تجاه كل المصائب التي تنـــزل به. رغم أنه كان قبل ذلك شديد الغضب لا يرى أن يمس أحد عزته ولا يتحمل أدنى إهانة. فكان رده كالآتي :—

قبل سنتين ذكر مدير مسئول في غيابي كلمات ملفقة فيها إهانة وتحقير لى، دون سبب ومبرر. ونُقل الكلام إلى، تألمت ما يقرب من ساعة بأحاسيس سعيد القديم. ثم وردت برحمته سبحانه وتعالى إلى القلب حقيقة أزالت ذلك الضيق،ودفعتني لأصفح عن ذلك الشخص. والحقيقة هى:

قلت لنفسى: إن كان تحقيره وما أورده من نقائص تخص شخصي ونفسي بالذات، فليرض الله عنه إذ أطلعني على عيوب نفسي. فإن كان صادقاً، فسوف يسوقني اعتراضه إلى تربية نفسي الأمارة وتأديبها، فهو إذاً يعاونني في النجاة من الغرور. وإن كان كاذباً، فهو عون لي أيضاً للخلاص من الرياء، ومن الشهرة الكاذبة التي هى أساس الرياء. نعم! إنني لم أصالح نفسي قط، لأنني لم أربّها. فإن نبهني أحد على وجود عقرب في أي جزء من جسمي، عليّ أن أرضى عنه، لا أمتعض منه.

أما إن كانت إهاناته تعود لصفة كوني خادماً للإيمان والقرآن، فتلك لا تعود لى، فأحيل ذلك الشخص إلى صاحب القرآن الذي استخدمني في هذه المهمة، فهو عزيز حكيم.

وإن كان كلامه لأجل تحقيري وإهانة شخصي بالذات والحط من شأني، فهذا أيضاً لا يخصني، لأنني أسير مكبل وغريب في هذا البلد، فالدفاع عن كرامتي ليس لي فيه نصيب، بل يخص من يحكم هذه القرية ثم القضاء ثم المحافظة التي أنا ضيف لديهم. إذ إن إهانة أسير تعود إلى مالكه، فهو الذي يدافع عنه.

فاطمأن القلب بهذه الحقيقة، وتلوت: **"وأفوض أمري إلى الله إن الله بصيرٌ بالعباد"** (غافر: 44) وأهملت الحادثة واعتبرتها لم تقع، ونسيتها. ولكن تبين بعدئذ – مع الأسف – أن القرآن لم يتجاوز عنه، فعاقبه[26].

وفى واقعة أخرى طرق سمعي في هذه السنة أن حادثة وقعت، وقد سمعتها بعد وقوعها إجمالاً فحسب، لكنى لقيت معاملة كأنني ذا علاقة قوية بالحادثة. علماً أنني ما كنت أراسل أحداً، وما كنت أكتب رسالة إلا نادراً إلى صديق وحول مسألة إيمانية، بل لم أكتب حتى لشقيقي إلا رسالة واحدة خلال أربع سنوات. فكنت أمنع نفسي عن مخالطة الناس والاتصال بهم، فضلاً عن أن أهل الدنيا كانوا يمنعونني عن ذلك. فما كنت ألقى إلا واحداً أو اثنين من الأحباب خلال أسبوع، مرة أو مرتين. أما الضيوف القادمون إلى القرية، وهم آحاد لا يزيدون عن واحد أو اثنين فكانوا يلقونني دقيقة أو دقيقتين، خلال شهر، ولمسألة أخروية. كنت على هذه الحالة من الاغتراب، وقد مُنعت عن كل الناس، عن كل شيء، وبقيت وحيداً غريباً، لا قريب لي، في قرية ليس فيها ما

يلائم مكسب نفقتي. حتى أنني قبل أربع سنوات، عمرت مسجداً خرباً وقمت فيه بالإمامة لأربع سنوات (نسأل الله القبول) حيث أحمل شهادة الإمامة والوعظ، من بلدي. ومع هذا لم أستطع الذهاب إلى المسجد في شهر رمضان الفائت. فصليت أحياناً منفرداً وحُرمت من ثواب الجماعة البالغ خمساً وعشرين ضعفاً.

فتجاه هاتين الحادثتين اللتين مرتا بي أظهرتُ صبراً وتحملاً مثلما أظهرته قبل سنتين إزاء معاملة ذلك المسئول. وسأستمر على هذا الصبر والتحمل بإذن الله.

والذي يدور في خلدي وأريد أن أقوله هو:

أن العنت الذي يذيقني إياه أهل الدنيا. والأذى والتضييق عليّ منهم، إن كان تجاه نفسي القاصرة الملطخة بالعيوب فإني أعفو عنهم، لعلّ نفسي تصلح من شأنها بهذا التعذيب فيكون كفارة لذنوبها. فلئن قاسيت من أذى في هذه الدنيا المضيفة، فأنا شاكر ربي، إذ قد رأيت بهجتها ومتعتها.

ولكن إن كان أهل الدنيا يذيقونني العذاب لقيامي بخدمة الإيمان والقرآن، فالدفاع عن هذا ليس من شأني وإنما أحيله إلى العزيز الجبار.

وإن كان المراد من ذلك التضييق إفساد توجه الناس إليّ والحيلولة دون إقبالهم عليّ، أى للحد من الشهرة الكاذبة التي لا أساس لها، بل هي السبب في الرياء وإفساد الإخلاص فعليهم إذاً رحمة الله وبركاته لأني أعتقد أن كسب الشهرة وإقبال الناس ضار لأشخاص مثلى. والذين لهم علاقة معي يعرفونني جيداً: أنني لا أقبل الاحترام لنفسي. بل أنفر منه حتى أن صديقاً فاضلاً عزيزاً عليّ قد نهرته أكثر من خمسين مرة لشدة احترامه لي.

ولكن إن كان قصدهم من التهوين من شأني وإسقاطي في أعين الناس يخص الحقائق الإيمانية والقرآنية التي أقوم بتبليغها فعبثاً يحاولون لأن نجوم القرآن لا تسدل بشيء. فمن يغمض عينه يجعل نهاره ليلاً لا نهار غيره.

المبحث الخامس :

ما يفسد الحياة الاجتماعية للإنسان

إن ما يفسد الحياة الاجتماعية للإنسان هى الدسيسة الشيطانية الآتية: أنه يحجب بسيئة واحدة للمؤمن جميع حسناته. فالذين يلقون السمع إلى هذا الكيد الشيطاني من غير المنصفين يعادون المؤمن. بينما الله سبحانه وتعالى عندما يزن أعمال المكلفين بميزانه الأكبر وبعدالته المطلقة يوم الحشر فإنه يحكم من حيث رجحان الحسنات أو السيئات. وقد يمحو بحسنة واحدة ويُذهب ذنوباً كثيرة. حيث أن ارتكاب السيئات والآثام سهل ويسير ووسائلها كثيرة. فينبغي إذاً التعامل في هذه الدنيا والقياس بمثل ميزان العدل الإلهي، فإن كانت حسنات شخص أكثر من سيئاته كمية أو نوعية فإنه يستحق المحبة والاحترام. وربما يُنظر إلى كثير من سيئاته بعين العفو والمغفرة والتجاوز لحسنة واحدة ذات نوعية خاصة.

غير أن الإنسان ينسى، بتلقين من الشيطان، وبما يكمن من الظلم في جبلّته، مئات من حسنات أخيه المؤمن لأجل سيئة واحدة بدرت منه فيبدأ بمعاداته، ويدخل في الآثام. فكما أن وضع جناح بعوضة أمام العين مباشرة يحجب رؤية جبل شاهق، فالحقد كذلك يجعل السيئة – التي هي بحجم جناح بعوضة – تحجب رؤية حسنات كالجبل الشامخ، فينسى الإنسان حينذاك ذكر الحسنات ويبدأ بعداء أخيه المؤمن، ويصبح عضواً فاسداً وآلة تدمير في حياة المؤمنين الاجتماعية.

وهناك دسيسة أخرى مشابهة لهذه ومماثلة لها في إفساد سلامة تفكير المؤمن والإخلال باستقامتها وبصحة النظرة إلى الحقائق الإيمانية وهى أنه يحاول إبطال حكم مئات الدلائل الثبوتية – حول حقيقة إيمانية – بشبهة تدل على نفيها. علماً أن القاعدة هي: أن دليلاً واحداً ثبوتياً يرجح على كثير من النفي، وأن حكماً لشاهد ثبوتي واحد لدعوى، يؤخذ به ويرجح على مائة من المنكرين النافين.

الخاتمـــــــــــة :

تلك نبذة بسيطة عن ما ذكره بديع الزمان سعيد النورسي بفكره الخالص لوجه الله عن العدالة في الإسلام. وهذه قطرة في بحر كبير تطرق لها هذا المفكر الإسلامى في رسائل النور، نرجو من الله أن تكتب في حسناته وأن يستفيد منها جميع الخلق من الأمة الإسلامية. ولولا أن المسئولين عن هذا المؤتمر قد حددوا عدد معين من الصفحات لكنت قد استرسلت في الكتابة بأعداد مضاعفة ممن كتبه وسطره هذا العالم الفاضل. جزاه الله عنا خير الجزاء فيما كتبه وسطره وتركه من تراث إسلامي ومما لاقاه من عذاب ومصاعب ومضايقات في حياته الدنيا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

الهوامش

(1) مسند أحمد 213/4، 199/8 – مسلم (الحدود).

(2) مأمون عبد القيوم – الإسلام دين العدالة والسماحة والرحمة – دراسة مقدمة للمؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية – 2002/4/16.

(3) مسند أحمد 411/5، 199/8 – مجمع 84/8.

(4) صحيح مسلم (البر والصلة والآداب) باب 15 رقم 2725/55.

(5) د. محمود زقزوق – مفهوم العدل فى القصور الإسلامي – دراسة مقدمة للمؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية – القاهرة 2002/4/16.

(6) د. محمود زقزوق – المرجع السابق – ص 733.

(7) راجع: علي الطنطاوى وآخرين: أخبار عمر – ص 182 وما بعدها – دمشق 1959م.

(8) د. محمود زقزوق – مرجع سابق – ص 741–742.

(9) رواه الإمام مسلم 1315/3.

(10) **انظر:** رسائل النور الجزء الثانى، ص 348.

(11) رواه مسلم والبخارى فى كتاب الإيمان – المترجم.

(12) أخرجه البخارى: وكأن سعيد النورسى يخطب فى الأمة الإسلامية اليوم بهذه الكلمات الطيبة لشحذ الأمة الإسلامية على الوحدة والاتحاد بدلاً مما هى فيه من شرزمة وفرقة.

(13) **انظر:** رسائل النور – الجزء الثالث – ص 357–359.

(14) **انظر:** رسائل النور – الجزء الثالث – ص 526، 527.

(15) رسائل النور – الجزء الثالث – ص 592.

(16) رسائل النور – الجزء الثانى – ص 66–67.

(17) رسائل النور – الجزء السابع – ص 299.

(18) "طهر الله أيدينا فنطهر ألسنتنا" من قول عمر بن عبد العزيز، انظر اليواقيت والجواهر للشعرانى 69/2 وشرح جوهرة التوحيد للباجورى 334 – المترجم.

(19) رسائل النور – الجزء الثانى – ص 342.

(20) رسائل النور – الجزء الثامن – ص 337.

(21) رسائل النور – الجزء الثامن – ص 525.

(22) رسائل النور – الجزء السابع – ص 301.

(23) رسائل النور – الجزء الثانى – ص 68–70.

(24) رواه ابن سعد فى طبقاته عن الزبير وجبير ابن مطعم، ورواه أحمد والطبرانى عن عمرو بن العاص. (كشف الخفاء 127/1) – المترجم.

(25) وردت أحاديث كثيرة عن النهى عن دعوى الجاهلية. انظر البخارى كتاب الجنائز والمناقب وتفسير القرآن ومسند أحمد 338/3 و 385، 130/4 و 202، 344/5 ومسند الطيالسى (1162).

(26) رسائل النور – الجزء الثانى – ص 80–82.